

الإقرار برسالة النبي صلى الله عليه وسلم

[وأشهد أن محمدا عبده ورسوله - صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه وسلم تسليما مزيدا]. الشرح * قوله: (وأشهد أن محمدا). هذه هي الشهادة الثانية وهي الإقرار والاعتراف بأن محمدا -صلى الله عليه وسلم- مرسل من عند الله تعالى، فهو المرسل والله المرسل، وقد أرسله سبحانه برسالة وأمره بتبليغها للناس كافة ألا وهي الإسلام والشريعة التي جاء بها وهي هذا الدين العظيم وما يتضمنه من الأوامر والنواهي. * قوله: (عبده ورسوله). شهادة له بالعبودية والرسالة، وقدم العبودية لأنها صفة مدح في حقه -صلى الله عليه وسلم- فهي من أشرف مقامات العبد مع الله، ولذلك فإن الله -سبحانه وتعالى- قد وصفه بها في أشرف مقاماته -صلى الله عليه وسلم- في سورة الإسراء، قال تعالى: { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ } [الإسراء: 1]. ثم جاء ذكر " الرسالة " في قوله: (ورسوله) والرسول هو الذي يحمل الرسالة من المرسل إلى المرسل إليه والمرسل هو الله والمرسل إليه هم جميع الناس، فالله -سبحانه وتعالى- قد أرسل مع نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- رسالة وأمره بتبليغها لجميع الثقلين الجن والإنس، وهي هذا الدين الذي يدعو الناس إلى أن يعبدوا الله وحده ويطيعوه. والرسول عند أهل العلم من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه ونبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- نبي رسول، فأول ما أنزل عليه قوله تعالى: { أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } إلى قوله: { عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } [العلق: 5]. فكان بها نبيا -عليه الصلاة والسلام- ولما نزلت عليه هذه الآيات: { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ } [المدثر: 1، 2]. كان رسولا مأمورا بالإنذار عليه الصلاة والسلام. * قوله: (صلى الله عليه). الصلاة من الله ثناؤه على عبده في الملاء الأعلى، كما ذكر ذلك أبو العالية حيث قال -رحمه الله- " صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه في الملاء الأعلى " رواه البخاري أخرجه البخاري برقم (6360) في الدعوات، باب: " هل يصلى على غير النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومسلم برقم (407) في الصلاة، باب: " الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد التشهد ". وهذا هو المعنى الصحيح لذلك. والله -سبحانه وتعالى- يثني على عباده الذين يحبهم في ملاء من الملائكة وهم الملاء الأعلى، كما في الحديث القدسي: { وَإِن ذُكِرْتِي فِي مَلَأ ذَكَرْتِي فِي مَلَأ خَيْر مِنْهُمْ } أخرجه البخاري برقم (7405) في التوحيد، باب: " قول الله تعالى: { وَيُحَدِّثُكُمْ اللَّهُ تَفْسَةً } [آل عمران: 28]، " ومسلم برقم (2675) 21 في الذكر والدعاء، باب: " الحث على ذكر الله تعالى "، عن أبي هريرة رضي الله عنه. . وقال بعضهم: إن الصلاة من الله على رسوله معناها الرحمة واستدلوا على ذلك بقوله تعالى في قول الملائكة في آل إبراهيم { رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ } [هود: 73]. ولكن هذا القول ضعيف. والرسول -عليه الصلاة والسلام- أخذ من هذه الآية قوله في التشهد الأخير: " اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد " هذه إحدى صيغ الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- وقد أخرجه البخاري برقم (3370) عن كعب بن عجرة رضي الله عنه. فهو -صلى الله عليه وسلم- يشير إلى هذه الآية. يعني: كما ترحمت عليهم، ولكن الأقرب هو ما ذكره أبو العالية رحمه الله: أن صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه في الملاء الأعلى. أما الصلاة من الملائكة فهي الاستغفار. وأما الصلاة من الآدمي فهي الدعاء. * قوله: (وعلى آله). آل النبي -صلى الله عليه وسلم- هم أهل بيته من المؤمنين كزوجاته وبناته، كما ورد ذلك مفسرا في حديث أبي حميد الساعدي -رضي الله عنه- في صفة التشهد الأخير أنهم قالوا: { كيف نصلي عليك يا رسول الله؟ فقال: " قولوا: اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم } أخرجه البخاري برقم (6360) في الدعوات، باب: " هل يصلى على غير النبي -صلى الله عليه وسلم-، " ومسلم برقم (407) في الصلاة، باب: " الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد التشهد ". فهذا يدل على أن آل النبي -صلى الله عليه وسلم- هم أزواجه وذريته، يعني: المؤمنين منهم، وهذا هو إختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وذهب أكثر العلماء إلى أن معنى الآل هم الأبناء، واستدلوا بقوله تعالى: { أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ } [غافر: 46]. يعني: أتباع فرعون. واستدلوا أيضا بما روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: { سلمان منا آل البيت } أخرجه الحاكم في المستدرک (3/ 598) وقال الذهبي في التلخيص: سنده ضعيف، وضعفه الألباني وهو في ضعيف الجامع رقم (3272). مع كونه فارسياً. ولذلك قال بعض الشعراء: آل النبي هم أتباع ملته من كان من عجم منهم ومن عرب لو لم يكن آله إلا قرابته صلى المصلي على الطاعني أبي لهب وقال أحدهم: ألا إنما التقوى هي العز والكرم وحبك للدينا هو الدل والسقم وليس على عبد تقى نقيصة إذا حقق التقوى وإن حاك أو حرم يعني: أن الرفعة عند الله ليست بالحب ولا بالنسب ولا بالقرابة من الرسول -عليه الصلاة والسلام- ولكنها تكون بالتقوى والاتباع. وكذا قال بعضهم: لعمرك ما الإنسان إلا بدينه فلا تترك التقوى انكالا على النسب فقد رفع الإسلام سلمان فارس وقد وضع الشرك الشقي أبا لهب فالحاصل أن آل النبي -عليه الصلاة والسلام- في الأصل هم أهل بيته وأقاربه من المؤمنين، وهذا هو القول الصحيح، ويدخل فيه أيضا أتباعه على دينه إلى يوم القيامة. * قوله: (وصحبه وسلم). أي: أصحابه، وهم الذين أدركوا النبي -صلى الله عليه وسلم- وآمنوا به واتبعوه وماتوا على ذلك، وقوله: (وسلم): التسليم يعني: من الآفات والشور ونحوها، أي: أننا ندعو الله تعالى أن يصلي على نبينا -صلى الله عليه وسلم- أي: يثني عليه في الملاء الأعلى كما تقدم، وكذلك يسلم عليه، أي: يسلمه ويبرئه من الآفات والعيوب والشور ونحوها، وهذا هو الأرجح والله أعلم. وقيل: إنه اسم من أسماء الله تعالى. * قوله: (تسليما مزيدا). هذا مصدر مؤكد لما قبله، أي: تسليما زائدا على الصلاة.